مكتبة المجاهد

في هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن الحياة المادية والنفسية لدى الدول الغربية . يقدم عددا من البراهين المستمدة من الحياة الواقعية ليدلل على أن المجتمعات الغربية ، ولو كانت أكثر تقدما واوفر مادة صناعية ، لا تتمتع بالسلامة العقلية والراحة النفسية .

يقول : « إننا نعتبر الاضطرابات الفكرية المنتشرة قضايا شخصية وفردية ولكننا نتعجب لكثرة الذين يعانون منها ». ويأتي الكاتب بعدد من الاحصاءات لمختلف الدول الغربية تظهر مدى انتشار الامراض النفسية وتكاليفها السنوية .

وبعد أن يشير الى ما انتج العالم الغربي من ثراء مادي ، خلال المائةسنة الماضية ، ينتقد بكل صراحة نظام المجتمع الغربي واساليب حياته الاستغلالية فيشير الى ان الدول الغربية قد تسببت في قتل الملايين من مواطنيها في حروب اعتقد كل طرف بانه يدافع عن الشرف والعقيدةوالحياة الفضلى .

ومن ذلك ان العالم الغربي يعيش في نظام اقتصادي قاس لا انساني . تعتبر زيادة الانتاج السنوي من محصول ما

ازمة اقتصادية . فيلجأ لتحديد وتقنين الانتاج لاستقرار السوق . كل ذلك في وقت « نرى فيه ملايين البشر يموتون جوعا وهم في حاجة للمواد التي تتلفها أو تحدد من انتاجها ».

كما يذكر ما تنفقه الدول الغربية من مبالغ تعد بعشرات الملايير لانتاج الاسلحة المدمرة بدلا من صرفها لبناء مساكن والمرافق الحيوية

« وعندما ننتقد هذه التصرفات = يعتبروننا خطرا على الحرية والمبادرة الفردية » .

« أما مجالات ووسائل الاشهار والدعاية والجرائد والاذاعات ودور السينما - فتسمم عقول الناس باشياء لا علاقة لها بالثقافة السليمة ». هكذا يرى الكاتب استغلال طبقة لاخرى يوجيهها لخدمة مصالحها عن طريق الاشهار .

كما يعارض المؤلف فكرة توفير الوقت الفارغ بانقاص ساعات العمل

لسكان العالم الغربي ، ذلك لانه حسب رأيه ، اصبح الناس يفتشون عن شتى الوسائل والفرص لقتل الوقت ، واصبح يبدو عليهم الملل والقلق

وهو بهذه الانتقادات وهذا الموقف يعارض الاغلبية من علماء الطب النفسي الذين يرفضون القول بان المجتمع الغربي مجتمع مريض . ورايهم ان مشكلة السلامة النفسية والفكرية في مجتمع ما ، انما هي مشكلة عدد من الافراد عجزوا من التلاؤم مع المحيط وليس فقدان الانسجام في الحضارة نفسها .

غير أن ما يهم الكاتب في تحليلاته ليست الاختلالات النفسية الفردية » بل انه يعالج « باثولوجية » المجتمع الغربي المعاصر .

وعندما يقدم احصاءات عن عدد وانواع الامراض النفسية في العالم الغربي وعن حوادث الانتحار والسكر والقتل - يستخلص بان الدول الغربية « الاكثر تقدما وديموقراطية » هي التي تعاني نسبة اكثر من الاضطرابات العقلية .

ويتساءل الدكتور فروم :

« هل يمكن ان تكون حياة الرفاهية والترف والوفر هي التي جعلتنا نشعر بالملل والقلق النفسي؟ وان السكر والانتحار والمغامرات العدوانية ماهي الا وسائل للتخلص من هذا الملل ؟

وهو لا يأتينا بجديد عندما يوضح بان جنس الانسان لايمكن تعريفه بعبارات مادية فيزيولوجية فقط ، بل لا بد من اعتبار الصفات النفسية الاساسية والقوانين التي تنظم العمليات الفكرية والعاطفية والعلاقات الانسانية والاجتماعية التي تسود بين الفرد والمجموعة التي يحيا في وسطها .

الا ان المؤلف يؤكد ان السلامة الفكرية

والنفسية تعتمد على مفهوم طبيعة الانسان ، لان حاجياته ومشاعره تنبع من ظروف تكوينه الخاص . فالانسان يشارك الحيوان في حاجات بيولوجية كالجوع والعطش والرغبة الجنسية . ولكن اشباع هذه الحاجات وحدها لا يكفي للحصول على السلامة النفسية . بل هناك صفات انسانية ضرورية مثل الانتماء لقوم ومكان ، والتمتع بذاتية والتعامل مع الناس ، والتسامي ، والسير نحو هدف ما - الخ

وكما يقول المؤلف ان حل الحاجات الفيزيولوجية اقل تعقيدا من المشاكل النفسية . لان هذه الاخيرة ترتبط بعوامل شتى مثل نوعية التنظيم الاجتماعي وطريقة ضبط العلاقات الانسانية بين افراد المجتمع .

ويضيف :

« ان السلامة العقلية والنفسية لا تناقش كصفات مجردة لاشخاص خياليين . اذ لا بد ان نناقش الحالة الفكرية للرجل الغربي المعاصر » وان

Le 21/01/77

نبحث عن العوامل المختلفة التي تتدخل في حياته فتجعل الواحد سليما متوازنا والاخر عليلا قلقا — لا ننكر أن هناك عوامل تقود للجنون واخرى تساعد على التفكير السليم . ولذلك لابد من دراسة الظروف الاجتماعية والسياسية وطرق الانتاج ونوعية الحياة وتاثير ذلك على الطبيعة الانسانية .»

وهو يعتقد بان العالم الغربي ليس في حاجة الى مثل عليا واهداف روحية جديدة . فمعلموا الانسانية العظماء قد وضعوا نماذج وقوانين الحياة السليمة .

وان ظهرت تناقضات في تعاليمهم فذلك من صنع اناس شوهوا مبادئهم واستغلوا تعاليمهم لنيل اهداف شخصية.

ولا يساعد النظام التربوي في الدول الغربية ، على تكوين المواطن السليم لان هدف هذا النظام هو اعداد اشخاص لينجحوا في بناء حضارة صناعية . ولذلك يهتم النظام التربوي بتكوين اشخاص تتوفر فيهم متطلبات هذه الحضارة مثل المنافسة والطموح واحترام السلطة والتعاون مع الغير - وغير ذلك

ومن رأيي المؤلف أن يوجه التعليم أولا لتكوين وتنمية الناحية الانسانية في المواطن والى مساعدته على تعليم مهنته

عملية مفيدة .وهو يقول بهذا الصدد :

« ليس سن الخامسة عشرة الى الثامنة عشر هو احسن سن للتعليم كما يعتقد البعض فقد يمكن تعلم اللغة انئذ ولكن تعلم الادب والتاريخ والفلسفة لا يكون كامل الفائدة في هذه السن المبكرة . لذلك ينبغي على المجتمع ان يساعد الاشخاص الذين يرغبون في تغيير مهنتهم في حوالى سن الثلاثين،مثلا وان يساعدهم على تعلم مهنة أخرى ».

فالتعليم في رأي المؤلف سواء كان يتمثل في تحصيل معلومات أو يهدف للتكوين الاخلاقي ينبغي ان يوجه لخدمة الفرد والمجتمع . والانسان لا ينبغي أن يتفهم العالم بفكره فحسب بل وبجميع حواسه ينبغي ان يمثل ببدنه ويستجل بيديه ما يفكر فيه دماغه . فاذا ادرك الانسان العالم على حقيقته وانسجم معه فانه يصبح قادرا على خلق العلوم والفنون التي تغني حياته وتجعلها حياة سليمة .

الازرق بن علو